

أضواء البيان

@ 163 ذلك { قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا } وقد بين في (الصافات) أنهم لما أرادوا أن يلقوه في النار بنوا له بنيانا ليلقوه فيه . . . وفي القصة : أنهم ألقوه من ذلك البنيان العالي بالمنجنيق بإشارة رجل من أعراب فارس (يعنون الأكراد) ، وأن □ خسف به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة ، قال تعالى : { قَالَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ يُؤْتَوْنَ أَثْمَارَ عَدُوِّكُمْ وَمَا كُنْتُمْ بِمُؤْمِنِينَ } . والمفسرون يذكرون من شدة هذه النار وارتفاع لهيها ، وكثرة حطبها شيئا عظيما هائلا . وذكروا عن نبي □ إبراهيم أنهم لما كتفوه مجردا ورموه إلى النار ، قال له جبريل : هل لك حاجة ؟ قال : أما إليك فلا ، وأما □ فنعمنا قال : لم لا تسأله ؟ قال : علمه بحالي كاف عن سؤالي . . . وما ذكر □ جل وعلا في هذه الآية الكريمة : من أنه أمر النار بأمره الكوني القدري أن تكون بردا وسلاما على إبراهيم يدل على أنه أنجاه من تلك النار . لأن قوله تعالى : { كُونِي بَرْدًا } يدل على سلامته من حرها . وقوله : { وَسَلَامًا } . يدل على سلامته من شرِّ بردها الذي انقلبت الحرارة إليه . وانجاؤه إياه منها الذي دل عليه أمره الكوني القدري هنا جاء مصرحا به في (العنكبوت) في قوله تعالى : { فَأَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مِّنَ الذَّرِّيرِ } وأشار إلى ذلك هنا بقوله : { وَنَزَّلْنَا مَاءً مِّنَ السَّمَاءِ } . . . وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { وَأَنزَلْنَا مَاءً مِّنَ السَّمَاءِ فَجَعَلْنَا خُثُومًا مِّنْهُم مَّاءً مَّهِينًا } . فالكيد الذي أرادوه به إحراقه بالنار نصرا منهم لآلهتهم في زعمهم ، وجعله تعالى إياهم الأخسرين . أي الذين هم أكثر خسرانا لبطلان كيدهم وسلامته من نارهم . . .

وقد أشار تعالى إلى ذلك أيضا في سورة (الصافات) في قوله : { فَأَنزَلْنَا مَاءً مِّنَ السَّمَاءِ فَجَعَلْنَا خُثُومًا مِّنْهُم مَّاءً مَّهِينًا } وكونهم الأسفلين واضح لعلوه عليهم وسلامته من شرهم . وكونهم الأخسرين لأنهم خسروا الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين . وفي القصة : أن □ سلط عليهم خلقا من أضعف خلقه فأهلكهم وهو البعوض . وفيها أيضا : أن كل الدواب تطفئ عن إبراهيم النار ، إلا الوزغ فإنه ينفخ النار عليه . . . وقد قدمنا الأحاديث الواردة بالأمر بقتل الأوزاغ في سورة (الأنعام) وعن أبي العالية : لو لم يقل □ { وَسَلَامًا } لكان بردها أشد عليه من حرها . ولو لم يقل على (إبراهيم) لكان بردها باقيا إلى الأبد . وعن علي وابن عباس رضي □